



آه يا دنيا عامان رحلا ولكنها بإحساس السوريين قرنان... لقد جردت الثورة الحياة من من حلتها الزاهية الخداعة، وأمامطت قناعها المبهج الزائف فكشفت وجهها المكفر الكالح الذي ما فتئت تخفيه عنا وفقدت قدرتها على ذلك الآن ولو استعملت كل مساحيق الأرض للتجميل...

جروحا غائرة في قلوبنا نحن السوريون لن تشف ولن تندمل.... لم تعد الدموع قادرة على تفريغ الأسى والقهر ومخزون الأحزان... ولم تعد الكلمات قادرة على إخراج ما يعتل في النفس ويختل في الصدر..

إن القلب أمسى مرجلا يغلي بالأحزان والآلام ينفث حممه آهات وزفرات كل ما ضاقت بوتفته وكادت تنفجر.. لقد جفت المآقي من الدموع اشتقتنا إلى العبرات عليها تطفئ بعضا من لهيب الحزن ونار الحرقة والكمد ... قبيحة أنت أيتها الحياة خداعية أنت أيتها الحياة... كل حلو فيك زبقي الممسك كلما أمسكته بقوه تفلت وتسرب في كل اتجاه وظهرت حقيقتك المرة من جديد ..

الحقيقة التي قرأنا عنها الكثير فلم نعها حتى أدركناها الآن بعقولنا وقلوبنا ... إنك لا شيء.. أنت سراب!!
كم أنس القلب بحبيب ظن أنه سيتّقى بجنة حبه لظاك وتقلباتك سفين عمره فسرقته منه رصاصة أو قذيفة ...
كم شقي المرء دهرا يبني دارا بعرق وجهه استهلك نصف عمره وعافيته أو زاد متشحا بالأمل أن تبقى دار أولاده وأحفاده ..
فجاءتها قذيفة قوضت أركانها ودفنت معها آماله وكل حلو ذاقه... آه منك يادنيا.. آه..... آه على عائلة قضى نصفها تحت الأنفاس ونصفها هام على وجهه فقد المأوى والمغيل والأمل.

آه على أب يمسك بحزاء ابنه هي كل ما تبقى من ذكرى عائلة دفنت على حين غرة تحت أكواخ من الحجارة يتأملها بين العقل والجبن..

آه على مدارج الصبا من أحياه وأرقة وقرى محفورة في جدران القلب وخلالا الذاكرة ومنقوشة في حنايا الروح.. أصبحت أطلالا وأثرا بعد عين...

آه على فتاة تفيض طهرا ورقة وأنوثة تحلم بثوب الزفاف وطفل يحبو خلفها يملأ عالمها أنسا وحبورا تناوب على اغتصابها

حفلة من الأوغاد السفلة فتركوها مشوهة النفس والجسد، وقد تحمل في أحشائهما عاراً يصبّ اللعنة على كل متخاصل كان بمقدوره النزول عنها.. سواء كان عربياً أو مسلماً أو ينتمي إلى حظيرة الإنسانية.

آه على فتى قطع شوطاً في درب أحلامه وأماله تلقيته أيدي الجلد لتسومه سوء العذاب الوحشي والإذلال ألواناً حطمت فيها أحلامه وتبدلت آماله هذا أن استطاع جسده القوي تحمل قسوتها ومات ألف ميتة قبل أن تصعد روحه إلى باريها. آه على جياع بلدي... في سجونهم إذ يرمي لهم الجلد بكسرات من الخبز المتعفن كي تمنع عنهم الموت جوعاً ولتحل لجلاديهم لذة الاستمرار في ساديتهم الحيوانية..

آه على جياع بلدي في قراهم ومدنهم في المدارس والمزارع والمساجد وفي مخيمات اللجوء في الداخل والخارج حيث يقذف لهم العالم المتحضر المتواحش ببعض الطعام الذي يحرّر الأب أي فم جائع من أنفواه أولاده يسكت به بعض جوعه.. آه على الجرحى الذين تعفنت جراحهم واستمر نزيفهم وعلا أينيهم وتمنوا الموت ألف مرة لأن العالم المنافق لم يرد إمدادهم بالعلاج..

آه على طبيب يتفتت قلبه حسرة وألماً كي يحصل على مبضع أو خيط أو ضماد ينقد بها روح مريضه وهو يتخفى عن الأنظار كما يتخفى رجل المخدرات من الشرطة.

آه على مخابز قصفت ومشاف دمرت ودوراً للعبادة هدمت وجميعها مأهولة بروادها فقتلوا جميعاً أو جرحوا ولم تهتز للعالم المتحضر شعرةً - ولو هدم مسكن للنمل لها جواً وما جواً واستنكروا!!

آه على وطن تكالب عليه الشرق والغرب.... وتناوب على المكر به العدو والصديق ... وتأمر على تدميره القريب والبعيد.... وشارك في ذبحه الأخ والجار..

ثم آه على قلوب رأت كل هذا وما لانت ولا رقت وما زالت تنضح بالضيائين والأحقاد وتنفث سموها أذى وكيداً لذوي القربي.. والوالدين...

رأيت أيتها الدنيا أنك خُلُبية.. ومن يتكئ عليك يستند إلى جدار متتصدع يوشك أن ينها في أي لحظة... كل شيء فيك هالك كل شيء فيك زائل.... لقد ظهرت سوأتك والعاقل من أعطاك قدرك، الذي تستأهلينه.

سنبني بيوتنا هناك في الجنة حيث لا قذيفة دبابة ولا صاروخ سكود ، بيت سرمدي لا صخب فيه ولا نصب، وسنتنافس في البناء والارتفاع في الدرجات، حيث ما بين الدرجة وأختها كما بين السماء والارض.. سنلقي أحبتنا هناك.. ولكن لن ندعك لغيرنا..

سنسيطر عليك ونجعلك في أيدينا طيّعة لينّة كما أمرنا ربك ... وأما قلوبنا فليست لك سكناً وملأوى

المصادر: